

نحو مستقبل أفضل

إننا أمة ذات ماضٍ مجيد... هذا ما لا يختلف فيه اثنان... ثم ماذا!... حاضر أقل ما يقال فيه أنه زفت وقطران كما يقول المصريون، إذن فلنعمل ولنتجه نحو مستقبل أفضل... وننسى فتناسي الماضي.

فالماضي شيء حدث وأصبح في خبر كان كما يقولون، يكفي أن نستقي منه العبرة الحسنة، والقذوة الصالحة، ونستلهم المثل العليا في الشجاعة والإباء والبطولة؛ وإلى هذا الحد يجب أن يكون موقفنا وغايتنا منه، أما البكاء والتباكى عليه، أما التستر بحسناته على سيئات حاضرها، أما التفاخر بآثره والتغنى بمعجزاته، فهذا كله يجب أن ننساه أو نتناساه وننكره على أنفسنا لأسباب كثيرة أهمها أننا إذا فعلنا ذلك، حكمنا على أنفسنا بأننا من الذين عناهم إبراهيم لسكون حين قال: «إن الذين لا يجدون ما يفاخرون به سوى آباؤهم وجدودهم، مثلهم كمثل نبات البطاطس... أهم ما فيه مدفون تحت الأرض، وحاشانا أن نرضى ذلك».

والآن وقد آمنا بأننا في حاجة إلى مستقبل أفضل، يجب علينا أن نعمل له فنبداً بأنفسنا ووطننا فنصلحه ونهيئه لأن يكون أهلاً لذلك... ومتى صلح الكويت الابن صلحت الجزيرة العربية الأم، إذ أن في صلاح الفرد صلاحاً للجموع. ولكنه علينا قبل كل شيء أن ننسأل: هل هذا المستقبل المنشود صعب المئال؟ يقول الواقع: لا... فالحقيقة أن المستقبل الأفضل الذي تطلع إليه وتمناه هو في متناول أيدينا، ولكنه يأتي - أو ليس من طبيعته - أن يتقاد طائعاً ليظلل قوماً أعماهم الجهل ونسج عليهم الكسل والخول نسيجه فراخوا في سنة أهل الكهف إذن فالعلم والعمل هما وسيلتنا هذه الغاية العظيمة، أو هما بالآخرى دواء حاضرنا المريض فأين نحن منهما - خاصة - في الكويت. العلم: لست أريد هنا أن أكرر ما سبقته إليه يراع كل كاتب فسهله وعقل كل مفكر فوعاه، وهو أن العلم نور وخير وبركة وعز ومجد، فهذا من البديهيات وحسي أن أورد بيت الشاعر العربي: العلم يبي بيوماً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف والعلم: أو حركة التعليم - بالمعنى الأصح، هي عندنا بخير والحمد لله؛ فالبلاد تخطو في هذا الميدان خطى حثيثة محسوسة، تبدو جلية في الإكثار من إنشاء المدارس

وما يقابل ذلك من إقبال شديد عليها من البنين والبنات على السواء، على أن لي رجاء أحب أن أبسطه وأتقدم به إلى المسؤولين عن التعليم عندنا، وهو أن يولوا شديداً اهتمامهم الطلبة الذين قطعوا مرحلة طيبة في الدراسة - أي بدأوا الدراسة الثانوية مثلاً - فكثير من هؤلاء يضطر تحت ضغط ظروفه الخاصة أن يترك المدرسة والدراسة، واعتقادي أن في هذا ما فيه من إساءة إلى مستقبلهم الخاص من جهة، وإضرار وإساءة بمصلحة التعليم والمصلحة العامة من جهة أخرى، ذلك لأن هذه الظاهرة الضارة تساعد على تضخم طبقة أنصاف المتعلمين أو المثقفين ثقافة بسيطة، وفي الوقت ذاته تعمل على أن تظل مرحلة الدراسة العليا منكشدة على نفسها، فقيرة جداً إلى العدد الكافي المرضى من الطلاب، وهذا ما يجب أن نتلافاه إذا أردنا نهضة علمية فعالة.

ويسرني هنا أن أقول أن حركة العلم والتعليم، هي كذلك مرضية ونشيطة في معظم البلدان العربية الشقيقة مما يجعلنا نظمن إلى هذه الناحية ويعزز أمتنا في المستقبل المنشود. العمل: يقول أحد الكتاب الانجليز المشهورين «إن العمل نوع من العبادة يجب أن يقدس وأن هناك دائماً أملاً في الرجل الذي يعمل، أما اليأس الدائم المؤبد فلا يوجد إلا حيث توجد البطالة والخول... وما أحرانا أن نتدبر هذا القول الحكيم فنقدس العمل والواجب ونؤمن بأنه سيليئنا إلى عيشة الكرامة والمجد، لأننا مع الأسف لا نقدس العمل ولا نحسب له في ميزاننا حساباً يذكر، بل نحن مع الأسف مرة أخرى لم نتعود - أولم نحاول - نتعود حتى الآن - أن نأكل مما نزرع أو نحتمي بما نصنع ونلبس بما ننسج ونحيك، بل نعيش عالة وكلاء على الأمم الأخرى وهذا يجب أن نضع له حداً بأن نعمل ونتج».

وإن الوقت من ذهب، هذا هو شعار الغربيين دائماً ومن واجبنا أن نجعله شعارنا أيضاً فنستغل أوقاتنا فيما يعود علينا بالنفع والفائدة وتحسين مركزنا في الحياة.

ومتى حصلنا على قسطنا الكافي من العلم وروضنا أنفسنا على الدأب على العمل، أصبح في إمكاننا عندئذ أن نحقق المستقبل الأفضل الذي نصبو إليه وأن نفيد الماضي في صورة أخرى أبهى وأروع نستطيع أن نفاخر بها عند ذاك ومن حقنا أن نفعل.

الكويت: يوسف السبحي هاشم